الف ٩

تنبيه الافكار الى حكمة اقبال الدنيا على الكفار

تأليف مصحح طبعها

الفقير

يوسف بن اسماعيل النبهاني

رئيس محكمة الحقوق

في بيروت

(نصيحة مهمة) يقول مؤلفه اعلم ان جميع الاعطار الافرنجية متنجسة فانها يقتضي صنعتها لابد من دخول السبيرتو فيها للتقوية رائحتها وحفظها والسبيرتو كسائر المسكرات المائعة نجسة ولو كانت متخذة من النباتات الطاهرة كالخمر فانها نجسة وهي متخذة من العنب ويوجد انواع من الاعطار الجامدة كالمسك او المائعة التي تأتي من بعض البلاد الاسلامية كعطر الورد وغيره ففي استعمالها غنية عن التلطخ بتلك النجاسات التي لا تصح معها الصلوات وقد ابتلي بها كثير من عوام المسلمين من النساء والرجال اما لجهلهم واما لعدم مبالاتهم بالحلال والحرام بل كثير من تجارها مسلمون مع معرفتهم انها لابد من دخول السبيرتو فيها ولكنهم يجهلون نجاستها ويقولون انها تطير وهي ولو طارت فان العطر قد تنجس بها فلا يجوز استعماله ونسأل الله التوفيق والهداية الى اقوم طريق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين اما بعد فهذه رسالة سميتها ✻ تنبيه الافكار الى الحكمة في اقبال الدنيا على الكفار ✻ نقلت فيها كلام بعض المفسرين على قوله تعالى وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ * وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ * قال الحافظ السيوطي في تفسيره الدر المنثور اخرج ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى يعني في الحديث القدسي لولا ان يجزع عبدي المؤمن لعصبت الكافر عصابة من حديد فلا يشتكي شيئاً ولصببت عليه الدنيا صباً قال ابن عباس رضي الله عنهما قد انزل الله شبه ذلك في كتابه في قوله «ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن» الآية . واخرج ابن جرير عن ابن عباس ايضاً في قوله تعالى « ولولا ان يكون الناس امة واحدة » الآية قال يقول لولا ان اجعل الناس كلهم كفاراً لجعلت لبيوت الكفار سقفاً من فضة ومعارج من فضة وهي درج عليها يظهرون يصعدون الى الغرف وسرر فضة

وزخرفا وهو الذهب . واخرج عبد الرزاق عن قتادة في قوله تعالى (والآخرة عند ربك للمتقين) قال خصوصاً . واخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن الحسن في قوله تعالى « لولا ان يكون الناس امة واحدة » قال لولا ان يكون الناس اجمعون كفاراً فيميلوا الى الدنيا لجعل الله لهم الذي قال قال وقد مالت بهم الدنيا باكبرهمها وما فعل ذلك فكيف لو فعله . واخرج احمد والحاكم عن ابن مسعود رضى الله عنه في قوله تعالى «أهم يقسمون رحمة ربك» قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم بينكم ارزاقكم وان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين الا من يحب فمن اعطاه الدين فقد احبه . واخرج الترمذي وصححه وابن ماجه عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء انتهى ما نقلته من الدر المنثور * وقال الخطيب «ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات» في الجاه والمال ونفوذ الامر وعظم القدر لينتظم حال الوجود فانه لابد في انتظامه من تشارك الموجودين وتعاونهم فتفاوتنا بينهم في الجثث والقوى والهمم ليقتسموا الصنائع والمعارف ويكون كل ميسراً لما خلق له وجاعلاً لما هي له لتعاطيه ولم يقدر احد من دني او غني ان يعدو قدره ويرتقي فوق منزلته ثم علل ذلك بما ثمرته عمارة الارض بقوله تعالى « ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً » اي ليستخدم بعضهم بعضاً فيسخر الاغنياء باموالهم الاجراء الفقراء بالعمل فيكون بعضهم سبباً لمعاش بعض هذا بماله وهذا باعماله فيلتئم قوام العالم لان المقادير لو تساوت لتعطلت المعايش ثم قال الخطيب « ولولا ان

يكون الناس امة واحدة » اي في الضلال بالكفر لاعتقادهم ان اعطاءنا
المال دليل على محبتنا لمن اعطيناه لحبهم الدنيا وجعلها محط انظارهم وهمهم
الا من عصمه الله تعالى « لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة »
الى قوله تعالى « والآخرة عند ربك للمتقين » لا يشاركم فيها غيرهم من
الكفار ولهذا لما ذكر عمر رضي الله عنه كسرى وقيصر وما كانا فيه من النعم
قال النبي صلى الله عليه وسلم الا ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ·
وروى المستورد بن شداد رضي الله عنه قال كنت في الركب الذين
وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السخلة الميتة فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اترى هذه هانت على اهلها حتى القوها قالوا من هوانها
القوها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فالدنيا اهون على الله من هذه على
اهلها اخرجه الترمذي وقال حديث حسن · وعن ابي هريرة رضي الله
تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة
الكافر · وعن قتادة بن النعمان رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اذا احب الله عبده حماه من الدنيا كما يظل احدكم يحمي سقيمه
الماء قال البقاعي ولا يبعد ان يكون ما صار اليه الفسقة والجبابرة من
زخرفة الابنية وتذهيب السقوف وغيرها من مبادي الفتنة بان يكون
الناس امة واحدة في الكفر قرب الساعة حتى لا تقوم الساعة على من يقول
الله او في زمن الدجال لان من يبقى اذ ذاك على الحق في غاية القلة بحيث
انه لا عداد لهم في جانب الكفرة لان كلام الملوك لا يخلو عن حقيقة وان
خرج مخرج الشرط فكيف بملك الملوك سبحانه انتهى كلام الخطيب *
وقال علاء الدين الخازن « نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة

الدنيا » اي نحن اوقعنا هذا التفاوت بين العباد فجعلنا هذا غنياً وهذا
فقيراً وهذا مالكاً وهذا مملوكاً وهذا قوياً وهذا ضعيفاً ثم ان احداً من
الخلق لم يقدر على تغيير حكمنا ولا على الخروج عن قضائنا «ورفعنا بعضهم
فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً » يعني لو انا سوينا بينهم
في كل الاحوال لم يخدم احد احداً ولم يصر احد منهم مسخراً لغيره
وحينئذ يفضي ذلك الى خراب العالم وفساد حال الدنيا ولكنا فعلنا ذلك
ليستخدم بعضهم بعضاً فتسخر الاغنياء باموالهم الاجراء الفقراء بالعمل
فيكون بعضهم لبعض سبباً للمعاش فهذا بماله وهذا بعمله فيلتئم قوام العالم
وقيل يملك بعضهم بماله بعضاً بالملك ورحمة ربك يعني الجنة خير يعني
للمؤمنين مما يجمعون اي يجمع الكفار من الاموال لان الدنيا على شرف
الزوال والانقراض وفضل الله ورحمته يبقى ابد الابدين (ولولا ان يكون
الناس امة واحدة) اي لولا ان يصيروا كلهم كفاراً فيجتمعون على الكفر
و يرغبون فيه اذاراً والكفار في سعة من الخير والرزق لاعطينا الكفار
اكثر الاسباب المفيدة للتنعم وهو قوله تعالى « لجعلنا لمن يكفر بالرحمن
لبيوتهم سقفاً من فضة» الآيات انتهى *وقال الفخر الرازي بين تعالى ان
منافع الدنيا وطيباتها حقيرة خسيسة عند الله تعالى وبين حقارتها بقوله
ولولا ان يكون الناس امة واحدة والمعنى لولا ان يرغب الناس في الكفر
اذاراً والكافر في سعة من الخير والرزق لاعطيتهم اكثر الاسباب
المفيدة للتنعم احدها ان يكون سقفهم من فضة وثانيها معارج ايضاً من فضة
عليها يظهرون وثالثها ان نجعل لبيوتهم ابواباً من فضة وسرراً اي من فضة
عليها يتكئون ثم قال تعالى وزخرفا وله تفسيران احدهما انه الذهب والثاني

انه الزينة بدليل قوله تعالى حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت فعلى التقدير الاول يكون المعنى ونجعل لهم مع ذلك ذهباً كثيراً وعلى الثاني انا نعطيهم زينة عظيمة في كل باب ثم بين تعالى ان كل ذلك متاع الحياة الدنيا وانما اسماه متاعاً لان الانسان يستمتع به قليلاً ثم ينقضي في الحال واما الآخرة فهي باقية دائمة وهي عند الله تعالى وفي حكمه للمتقين عن حب الدنيا المقبلين على حب المولى انتهى * وقال في الكشاف (فان قلت) فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التي كان يؤدي اليها التوسعة عليهم من اطباق الناس على الكفر لحبهم الدنيا وتهالكهم عليها فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الاسلام (قلت) التوسعة عليهم فيها مفسدة ايضاً لما تؤدى اليه من الدخول في الاسلام لاجل الدنيا والدخول في الدين لاجل الدنيا من دين المنافقين فكانت الحكمة فيما دبر حيث جعل في الفريقين اغنياء وفقراء وغلب الفقر على الغنى اه * وقال في روح البيان فان قيل ما الحكمة في اختيار الله تعالى لنبيه الفقر واختياره اياه لنفسه مع قوله صلى الله عليه وسلم لو شئت لدعوت ربي عز وجل فاعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فالجواب من وجوه احدها انه لو كان غنياً لقصده قوم طمعاً في الدنيا فاختار الله له الفقر حتى ان كل من قصده علم الخلائق انه قصده طلباً للعقبى والثاني ما قيل ان الله اختار الفقر له نظراً لقلوب الفقراء حتى يتسلى الفقير بفقره كما يتسلى الغني بماله والثالث ما قيل ان فقره دليل على هوان الدنيا على الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء ومعنى هوان الدنيا على الله انه سبحانه لم يجعلها مقصودة لنفسها بل جعلها طريقاً موصلاً الى ماهو

المقصود لنفسه وانه لم يجعلها دار اقامة ولا جزاء وانما جعلها دار رحلة وبلاء وانه ملكها في الغالب الجهلة والكفرة وحماها الانبياء والاولياء والابدال وابغضها وابغض اهلها ولم يرض العاقل فيها الا بالتزود للارتحال عنها كون فقر النبي صلى الله عليه وسلم اختياريا لا اضطراريا مشهور معلوم عند كل من اطلع على احواله الشريفة فان الدنيا اقبلت عليه بكليتها حينما فتح الفتوحات العظيمة واستولى على الغنائم الكثيرة فرفضها ولم يدخرها لنفسه بل فرقها واختار الفقر لانه شعار الصالحين ﴿ خاتمة ﴾ اذا تأملت في الآية السابقة وقوله صلى الله عليه وسلم لسيدنا عمر في حق كسرى وقيصر اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ومثل ذلك كثير من الآيات والاحاديث الواردة في هذا المعنى تعلم ان الحكمة في اقبال الدنيا على الكفار ان الله تعالى لما قدر عليهم العذاب الدائم في الآخرة وجعل نعيمها مختصاً بالمتقين في الجنة بانواع الزينة من قصور الذهب والفضة وغير ذلك مما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كان من عدله وفضله سبحانه وتعالى ان يجعل للكفار من زينة الدنيا فضتها وذهبها شيئاً كثيراً بحيث يجعل سقف بيوتهم ودرجها وابوابها وسررهم فضلاً عما هو دونها من الامتعة من الذهب والفضة ويعطيهم كمال الزينة حتى يتمتعوا في الدنيا ويأخذوا حظهم منها على اكمل الاحوال اذ لا حظ لهم في الآخرة اصلاً سوى العذاب والنكال ولم يفعل ذلك تعالى لئلا يصير الناس كلهم كفاراً ولحقارة ذلك على فرض حصوله بسبب انه متاع موقت لانقطاعه بانقطاع حياة الكافر قال تعالى في آخر الآية وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين» اما فساق

المؤمنين فهم لمناسبتهم مع الكفار بترك التقوى حصل لهم نصيب من الفتنة بالدنيا فاقبلت عليهم اكثر من الاتقياء ولكن يخشى عليهم ان لم يتداركهم الله بلطفه بالتوبة واصلاح الحال ان يجرهم الفسق الى الكفر ولمناسبتهم للمتقين الذين هم اهل الآخرة واصحاب الجنة لاتقائهم الشرك مثلهم يحصل لهم نصيب فيها وان كان اقل من نصيبهم بعد عفو الله عنهم او تطهيرهم بالعذاب على المعاصي (فان قلت) نجد من اتقياء المسلمين ايضاً اغنياء ومن الكفار والفساق فقراء فما حكمة ذلك اقول ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء فان انعام الله عليهم بالدنيا مع كونهم يصرفونها في مصارفها الشرعية هو من زيادة فضله عليهم تعالى اذ يكون قد اسعدهم في الدارين وانعم عليهم في الحالتين وما آتاهم من الدنيا من الخيرات لا ينقص حظهم مما اعد لهم في الجنات كما انه يوجد من الكفار كثير ممن خسروا الآخرة والدنيا وكانوا في اسوأ الحالات في الحياة وبعد الممات فهم في الدنيا في الفقر المزيد وفي الآخرة في العذاب الشديد والله يفعل في خلقه ما يشاء ويحكم ما يريد ولعلم الله تعالى بكثرة رغبة الناس في الدنيا وشدة حرصهم عليها ذمها في القرآن كثيراً وحذر منها ورغب في الزهد فيها وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأل جهداً في احاديثه في الترغيب في الآخرة والتزهيد في الدنيا وكذلك ائمة امته من الصحابة فمن بعدهم اذا علمت ذلك فلا تغبط كافراً الغناه * وتذكر سوء عقباه * ولا تزدر مؤمناً لفقره لان حظه العظيم مدخر له في اخراه * والحمد لله الذي هدانا للايمان وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله * ونسأله حسن الخاتمة وهي شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله * وقد تمت بتصحيح مؤلفها سنة ١٣٢٤

